مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــرام
التاريخ : ٢١/١٠/٢٠٠٠

ذكريات مع السادات

فى وسط الأحداث الأخيرة المتلاحقة شعرت برغبة قوية فى أن أكتب عن الرئيس الراحل أنور السادات، ليس فقط لأنه - كما يعترف الجميع الآن - بطل الحرب والسلام. ولكن لأنه كان زعيما له نظرة ورؤية مستقبلية وله فلسفة خاصة أساسها الأمن والسلام.

ترجع معرفتى بالرئيس السادات الى عام ١٩٥٧ حين وافق الرئيس الراحل جمال عبدالناصر على استضافة المؤتمر الاول لتضامن الشعوب الافريقية الأسيوية وأعطى للسادات مسئولية رئاسته. وتولى يوسف السباعى منصب أمين عام المنظمة الذى اختارنى بدوره لأن أكون نائبا له.

كان أنور السادات فى ذلك الوقت أمين عام المؤتمر الاسلامى وكان مقره ٧ شارع حسن صبرى، ذلك القصر الجميل الذى يحتله الآن أحد مكاتب رئاسة الوزراء.

وبعد انتهاء المؤتمر الأول تكونت السكرتارية الدائمة للحركة وتولى رئاستها يوسف السباعى وكنت أنا نائبا له.

وكان يوسف السباعي في نفس الوقت أمين عام المجلس الأعلى للفنون والآداب الذي يجاور المؤتمر الاسلامي في ٩ حسن صبري، واختارني يوسف السباعي في ذلك الوقت لأعمل في ذلك المجلس الجديد وسعى الى نقلي من كلية المعلمين إلى المجلس، كلفني يوسف السباعي بمسئولية عرض الأمور الخاصة بالتضامن الإفريقي الأسيوي على الرئيس السادات بحكم رئاسته للحركة.

وهكذا بدأت في زيارات متعددة بمكتبه المجاور وكان ذلك بدء العلاقة.

وتولى انور السادات رئاسة مجلس الشعب وكنت أعرض عليه هناك بما يستجد من خطابات وبحوث وتقارير عن التضامن الافريقي - الآسيوي، كما كنت أصحب الوفود المختلفة التي كانت تفد من أسيا وافريقيا لمقابلته في مكتبه بمجلس الشعب.

وكنت احيانا أقوم بالترجمة بين السادات والوفود من الانجليزية الى العربية وبالعكس. وكان الرئيس السادات يصمم على استعمال اللغة العربية. ومازلت اذكر اصطحابي لوفد من لجنة التضامن السوفيتية لمقابلته وقبل بدء الحوار قلت له «سيادتك تتقن الانجليزية والوفد معه مترجمة من الروسية الى الانجليزية فلماذا لاتتحدث الانجليزية لتوفر الوقت؟».

قال السادات اتعرف ان رئيس الوفد السوفيتي يتقن الانجليزية كما اتقنها أنا إن لم يكن اكثر، ولكن الترجمة لها وظيفة هامة فحين تترجم انت ما اقوله الى الانجليزية فهو يفهم ما اقول وحين تترجمه له مترجمة الى اللغة الروسية فان فترة الترجمة تعطيه الفرصة لاعداد الرد. وانا افعل نفس الشيء. كان ذلك درسا في العلاقات الدولية.

كانت الوفود السوفيتية هي اكثر الوفود حضورا الى مصر ومقابلة السادات واني اعتقد ان تلك اللقاءات المستمرة أعطت للسادات فرصة لمعرفة طريقة تفكير السوفيت ومن ثم عرف كيف يتعامل معهم. وكانت الوفود الصينية هي ايضا من اكثر الوفود رغبة في مقابلة الرئيس السادات وقد ساعد ذلك أيضا على معرفة طبيعتهم ولذلك استطاع ان يلعب دورا مهما في المؤتمر الثاني للتضامن الافريقي - الآسيوي الذي عقد في كوناكري عام ١٩٦١. كان الرئيس السادات معنا في ذلك المؤتمر بحكم رئاسته للحركة وكان في ذلك الوقت نائبا للرئيس جمال عبدالناصر. وصمم الرئيس سيكوتوري على إقامة الرئيس السادات في القصر الجمهوري.

ويبدو ان الرئيس السادات ضاق ذرعا بالحياة هناك فكان كل يوم بعد انتهاء الاجتماعات ياتي الى الفندق الذي يقيم فيه وكنت مع يوسف السباعي في «سويت» حجرتين للنوم وحجرة جلوس، ويبقى معنا في غرفتنا حتى موعد تناول الطعام ثم الاجتماع التالي.

وقد اعطتني تلك الفترة بالذات التي دامت نحو أسبوع أن أعرف الرئيس السادات عن قرب. عرفته كانسان بعيدا عن المناصب الرسمية وعرفته كمثقف ومفكر له أراء مهمة وجادة في أمور عديدة. وفي هذا الصدد أود ان اتوقف قليلا . لأتحدث عن بعض أراء السادات في موضوع معين وهو الاسلام. كنت قد قرأت كتيبا أصدره بعنوان «نحو بعث جديد» عبارة عن تجميع لسلسلة مقالات كان قد نشرها في الجمهورية. حين راس تحريرها. ناقشت معه بعض الأراء التي اعجبت بها والتي اريد ان اعرضها الآن.

هناك اكثر من رأي مهم في هذا

الكتيب الذى اعتبره نوعا من المانفستو الذى يجب على الشباب قراءته، يقول السادات بعد ان يصف تاريخ الاسلام ورسالة الرسول والمشعل الباهر المضىء الذى أورثه لنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويسأل السادات هل انطفأ ذلك المشعل فضللنا الطريق، ويجب أن نعرف من فعل هذا بنا وجعلنا نعيش فى هذه الحال التسعة انهم فئة منا حكموا بلادنا فى الشرق والغرب اختطفوا المشعل المضىء الباهر وأخفوه عن انظارنا لكى يستعبدوا . ويبطشوا ويسلبوا وينهبوا ثم يقولوا للمسلمين نحن أولياء عليكم فاطيعونا ويطيعهم المسلمون فيمضى الأولياء يحكمون والدنيا لهم والاخرة لنا.

هكذا فسروا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم. المسلم فى رأيهم من يصلى ويصوم رمضان ويخرج الشهادة من جوفه.

ويمضى السادات فى كتابته، وهى فى رايى تكريس لفلسفته وسياسته التى طبقها أثناء حكمه. رسالة محمد فى رأيه ان يعمل الناس «ولا شىء غير العمل، فهو ـ العمل ـ وحده الذى يعصم الناس من الضلال، من الشر، من الحرب من الفقر، من الجهل من الزلل ويذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم «لأن يأخذ احدكم حبله على ظهره ليحتطب ويعود آخر النهار ومعه خبزه ورزق عياله . خير من أن يقضى نهاره فى صيام وصلاة».

وفى نفس الكتاب فى فصل بعنوان «الثقافة وسيلة والحضارة غاية» يؤكد السادات اهمية الانفتاح الثقافى على العالم حتى نلحق بقطار الحضارة العالمى. ويقول السادات ان الثقافة «وحدة لاتتجزأ فى هذا العالم،فاذا كانت مزدهرة فى ركن منه ومندثرة فى ركن آخر، أصبح من المحتم ان يسهم هذا فى بعث ثقافة ذاك، ويعطى الرئيس السادات أمثلة تدل على سعة قراءاته فيتحدث عن ابن رشد وابن خلدون وابن النفيس العربى، هؤلاء الذين عملوا مشاعل لهداية العالم كله الى مستقبله الذى يتحتم أن يزدهر بالعلم والمعرفة وبالأدب والفن.

ويضيف السادات ان التقدم الثقافى والعلمى فى الغرب لم يتحقق الا بعد انتهاء عصر الكهنوت أما نحن فقد فرض علينا تجار الدين التعصب والجمود والخضوع لمرجعيتهم.. من أجل هذا لم تعد لنا ثقافة ومن أجل هذا لم نجد طريقنا نحو العدل والحق والعمل.، وكان حتما علينا اذن «ان نبحث وندرس ثقافة غيرنا مثلما فعل أجدادنا من حملة المشاعل فى عصرهم الزاهر...وفى العالم الآخر ـ ولا اقصد الجنة ـ توجد ثقافة ولكن اقيم ستار حديدى بين المسلمين وبين الثقافة العالمية، والتى هى وحدة لاتتجزأ.

قد يرى القارىء أنى خرجت عن موضوع مقالى وهو ذكريات مع السادات ولكن كانت تلك الآراء التى عرضت بعضا منها جزءا من مناقشاتنا فى كوناكرى عاصمة غينيا. فى ذلك المؤتمر كانت بوادر الخلافات بين السوفيت والصين قد بدأت تطفو على السطح ، إذ كانت الصين تعارض توقيع الاتحاد السوفيتى على اتفاقية حظر التجارب الذرية، وكانت المناقشات بين الوفدين السوفيتى والصينى حامية فى مؤتمر كوناكرى مما هدد حركة التضامن التى كانت لاتزال فى مهدها. واستطاع السادات بحكمته وبمعرفته لطريقة تفكير الطرفين ان يخرج المؤتمر من تلك الورطة السياسية وينقذه من الفشل

ذكرت ان السادات كان يقيم فى القصر الجمهورى مع سيكوتورى وأعرف أنه نمت بين الاثنين

صداقة وتفاهم أدى ـ اذا ذكرنا ـ الى وقفة سيكوتورى النبيلة مع السادات ومبادرته للسلام.

كان السلام فعلا هو هدف السادات دائما وكانت حرب اكتوبر أساسية للوصول الى ذلك السلام الذى كنا نصبو اليه. ومازلت أذكر انه فى نحو ١٠ اكتوبر ١٩٧٣ ـ كما اذكر ـ فى وسط الحرب الدائرة ان عقد مؤتمر عالمى للسلام فى موسكو، وعلى الرغم من طرد الرئيس للروس فقد قرر ان تشارك مصر فى المؤتمر وذلك فى أعلى مراحل الانتصار فى حرب أكتوبر. كانت مطارات مصر مغلقة وتقرر ان نسافر على سفينة روسية خصصت لترحيل عائلات الدبلوماسيين السوفيت ومن دول شرق اوروبا. تكون وفدان، وفد من لجنة السلام المصرية برئاسة الصديق خالد محيى الدين ووفد أخر للتضامن الافريقى الآسيوى كان لى شرف رئاستها. هكذا كان يفكر السادات، فى خضم الحرب، كان نظره على السلام وكان ذلك المؤتمر ـ او الكونجرس كما كان يسمى ـ فرصة رائعة لنقدم وجهة نظرنا.

وحين صدر القرار الجمهورى بتعيينى رئيسا للهيئة العامة للاستعلامات، بدأت فترة جديدة من العلاقات بالرئيس السادات خاصة حين أصدر قراراً بان اكون أيضا متحدثا رسميا واستمر عملى فى تلك الوظيفة من أواخر ١٩٧٣ حتى أواخر ١٩٧٩ وهى فترة اراها من أهم مراحل تاريخ مصر ومن اهم مراحل عملى ايضا. وهناك من يقولون ان تلك الفترة كانت من أزهى ان لم تكن ازهى فترات هيئة الاستعلامات، وكنت اقول لهم دائما انها كانت فعلا فترة زاهية لأنه كانت لدينا مادة للاعلام. كانت مصر فى تلك الفترة، بعد حرب اكتوبر ومبادرة السلام للرئيس السادات هى ملء السمع والبصر فى جميع انحاء العالم.

وهنا أود ان أرد على حديث نشره أحد وزراء الاعلام السابقين بان الإعلام فى زمن السادات كان مركزاً عليه وأنه كان يسعى اليه وهذا رأى غير صحيح. لم يسع السادات ابدا إلى الاعلام العالمى بل الاعلام العالمى هو الذى كان يلهث وراءه. كانت تصلنى عشرات من طلبات المراسلين الاجانب من المقيمين فى مصر أو من امريكا وبريطانيا وفرنسا، ومن اليابان والصين، من الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكنا نختار منهم من يقابل الرئيس. وانى اذكر ان أحد كبار المذيعين الأمريكيين. لا اذكر اسمه الآن. جاء الى مصر ومعه استوديو تسجيل متنقل اقامه امام فندق هيلتون. وذلك ليسجل حديثا مع الرئيس السادات

لم يكن السادات يسعى ابدا للدعاية الشخصية وكنت أختار بكل دقة من يقابله ويجرى معه الأحاديث، جاءوا اليه من جميع انحاء البلاد. وكان بعضهم يوجه اليه أسئلة محرجة أحيانا ولكنه كان يجيب عليها بكل ثقة ولباقة. ويحضرنى هنا حين أدار أحد كبار المعلقين الأمريكيين حديثا مع السادات فى القناطر. كانت منها بعض الأسئلة المحرجة فعلا ومنها، على سبيل المثال، سؤاله عن «القطط السمان» وكان ذلك التعبير منتشرا فى ذلك الوقت عن الذين أغتنوا بطرق غير سوية. وكذلك عن سؤال بأن احد أصدقاء السادات يقول إنه بدأ يشعر بأهمية الزعامة والعظمة. وكان رد السادات حاسما بدأه بأن هذا الشخص ليس صديقا ثم اكمل حديثه/

وبعد عودتى الى مكتبى اتصل بى الصديق فوزى عبدالحافظ مدير مكتب الرئيس واعطانى رقم تليفون اطلب فيه الرئيس. ورد

على الرئيس مباشرة وسألنى «هل سافر الوفد الصحفى الامريكى» فقلت لا وذكرت انى دعوتهم فى المساء الى عشاء خاص واضاف الرئيس «شفت الأسئلة اللى سألوها؟» فقلت «نعم» فقال «قل لهم ان يلغوا ذلك الحديث.» فقلت «سيادة الرئيس، لقد سألوا أسئلة يسألها الجميع وقد أجبت عليها إجابات مقنعة، ولذلك فمن رأيى ان نصرح باذاعة الحديث». واقتنع الرئيس ووافق وانى اذكر هذا الحادث لأبين ان الرئيس السادات كان يستمع الى الرأى الأخر ولم يكن يفرض آراءه كما يصوره البعض

وحدث أخر. أصدر وزير الداخلية قرارا بابعاد مراسل اللوموند الفرنسية فى القاهرة لأنه ارسل برقيات بها نوع من النقد غير العادل وعرفت ان بعض مسئولى الداخلية كانوا فى طريقهم اليه لترحيله. واتصلت فى الحال ببيت السادات واذكر ان الذى رد على كان سكرتيره الخاص المرحوم توفيق قوره. وذكرت له الموضوع وقلت انى سأرسل فى الحال مذكرة الى الرئيس حول هذا الأمر. وفعلا حدث ذلك وتم الغاء قرار الترحيل وصارت اللوموند من اكثر الجرائد الفرنسية تأييدا لمصر

لست فى حاجة الى أن اذكر رؤيا السادات المستقبلية وقراراته الحكيمة فقد اثبتت الاحداث ذلك ولكن سأذكر حقيقتين على درجة من الأهمية، ففى حديث لسيد مرعى مع الرئيس السادات وكان يتعرض فى ذلك الوقت لهجمات شرسة من الدول العربية، قال ان العرب سرعان مايعرفون أهمية قرارات الرئيس واجاب السادات انهم لن يفهموا ماعملت مصر من أجل القضية الا بعد عشر سنوات وكان السادات صادقا فى ذلك اذ لم تمر اكثر من عشر سنوات الا وادرك العالم، بما فى ذلك اعداؤه ان السادات كان على حق.

وفى لقاء بين الرئيس السادات وأحمد بهاء الدين سأل الرئيس بهاء ماهى الدول العظمى فى العالم؟

فاجاب بهاء «باريس .. طبعا الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فرد السادات قائلاً سأقول لك شيئاً البسه فى اذنك مثل الحلق. لا توجد الا قوة عظمى واحدة وهى امريكا. وصدق السادات هنا أيضا وتأكد رأيه وحكمته السياسية.

هناك ذكريات وذكريات لعلى أجد لها مكانا فى المستقبل. رحم الله السادات.

مرسى سعد الدين